

تفسير البحر المحيط

@ 531 أي جاء وشرف . والتقدير : فثمَّ جلاله وعظمته ، قاله أبو منصور في المقنع .
وحيث جاء الوجه مضافاً إلى الله تعالى ، فله محمل في لسان العرب ، إذ هو لفظ يطلق على
معان ، ويستحيل أن يحمل على العضو ، وإن كان ذلك أشهر فيه . وقد ذهب بعض الناس إلى أن
تلك صفة ثابتة لله بالسمع ، زائدة على ما توجه العقول من صفات القديم تعالى . وضعف أبو
العالية وغيره هذا القول ، لأن فيه الجزم بإثبات صفة لله تعالى بلفظ محتمل ، وهي صفة لا
يدري ما هي ، ولا يعقل معناها في اللسان العربي ، فوجب إطراح هذا القول والإعتماد على ما
له محمل في لسان العرب . إذا كان للفظ دلالة على التجسيم فنحمله ، إمّا على ما يسوغ فيه
من الحقيقة التي يصح نسبتها إلى الله تعالى إن كان اللفظ مشتركاً ، أو من المجاز إن كان
اللفظ غير مشترك . والمجاز في كلام العرب أكثر من رمل يبرين ونهر فلسطين . .
فالوقوف مع ظاهر اللفظ الدال على التجسيم غباوة وجهل بلسان العرب وأنحاءها
ومتصرّفاتهما في كلامها ، وحجج العقول التي مرجع حمل الألفاظ المشككة إليها . ونعوذ بالله
أن نكون كالكرامية ، ومن سلك مسلكهم في إثبات التجسيم ونسبة الأعضاء لله ، تعالى الله عما
يقول المفترون علواً كبيراً . وفي قوله : { فَأَيُّ كُذِّبَتْ أُولَئِكَ فَأَيُّ كُذِّبَتْ أُولَئِكَ }
اللاَّه { ردّ على من يقول : إنه في حيز وجهة ، لأنه لما خير في استقبال جميع الجهات دل
على أنه ليس في جهة ولا حيز ، ولو كان في حيز لكان استقباله والتوجه إليه أحق من جميع
الأماكن . فحيث لم يخص مكاناً ، علمنا أنه لا في جهة ولا حيز ، بل جميع الجهات في ملكه
وتحت ملكه ، فأى جهة توجهنا إليه فيها على وجه الخضوع كنا معظمين له ممثلين لأمره . .
{ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَالِمٌ } : وصف تعالى نفسه بصفة الواسع ، فقليل ذلك لسعة
مغفرته . وجاء : { إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعٌ الْمَغْفِرَةِ } ، وهو معنى قول الكلبي : لا
يتعاطمه ذنب . وقيل : واسع العطاء ، وهو معنى قول أبي عبيدة : غني ، ومعنى قول الفراء
: جواد . وقيل : معناه عالم ، من قوله : { وَاسِعٌ كُورَسِيٍّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ }
{ ، على أحد التفاسير ، وجمع بينه وبين عليم على سبيل التأكيد . وقيل : واسع القدرة .
وقيل : معناه يوسع على عباده في الحكم دينه يسر . عليم : أي بمصالحهم أو بنيات القلوب
التي هي ملاك العمل ، وإن اختلفت ظواهرها في قبلة وغيرها . وهذه التفاسير على قول من
قال : إن الآية نزلت في أمر القبلة . وقال القفال : ليس فيها ذكر القبلة والصلاة ، وإنما
أخبرهم تعالى عن علمه بهم ، وطوق سلطانه إياهم حيث كانوا ، كقوله تعالى : { إِنَّ
اسْتَطَاعْتُمْ } ، الآية ، وقوله : { مَا يَكُونُ مِنْ نَّجْوَى } الآية ، ويكون في هذا

تهديد لمن منع مساجد الله من الذكر ، وسعى في خرابها ، أنه لا مهرب له من الله ولا مفر ، كما قال تعالى : { أَلَيْسَ الْغَفَرُ * كَلَّا * لَا وَزَرَ * إِلَّآ رِبِّكَ يَوْمَ تَوَمَّنْ إِلَى الْغَفَرِ * فَوَسَّسَ الْغَفَرُ فَرْسًا * فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ حِمْلِهِ * وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ * فَكَانَتْ سُمْرَةً * فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ كَافِرِينَ } ، وكما قال : % (فإنك كالليل الذي هو مدركي % . وإن خلت أن المنتأى عنك واسع .

. %)

وقال : % (ولم يكن المغتر بالله إذ سرى % .

ليعجز والمغتر بالله طالبه .

. %)

وقال : % (أين المفر ولا مفر لهارب % .

وله البسيطان الثرى والماء .

. %)

وعلى هذا المعنى يكون الخطاب عاماً مندرج فيه من منع المساجد من الذكر وغيره . وجاءت هذه الجملة مؤكدة بأن مصرحاً باسم الله فيها دالة على الاستقلال . وقد قدّمنا ذلك في قوله : { تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ } ، وكقوله : { وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } ، وذلك أفخم وأجزل من الضمير ، لأن الضمير يشعر بقوة التعلق والظاهر يشعر بالاستقلال . ألا ترى أنه يصح الابتداء به ، وإن لم يلحظ ما قبله ؟ بخلاف الضمير ، فإنه رابط